كنيسة
شهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - اسكندرية

الأعمال والعطاء

للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة
من آباء القرن الثالث الميلادى

من كتابات الآباء (٣)

حضرة صاحب الغبطة والقداسة
البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

إصدارات أسرة
القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنيسة

أولا : سلسلة « من كتابات الآباء »

١ – «يوم الأحد .... يوم القيامة» للقديس چيروم.

٢ – «الغيرة والحسد» للقديس كبريانوس.

٣ – «الأعمال والعطاء» للقديس كبريانوس.

٤ – «الايمان بأمور لاتُرى» للقديس أغسطينوس (تحت الطبع).

٥ – «من وحي الميلاد» للقديس أغسطينوس.

ثانيا : سلسلة « آراء أرثوذكسية معاصرة »

١ – « هل الكتاب المقدس وحده يكفي؟»

(كلمات حول التقليد الكنسي)

يطلب من :

مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بسبورتنج

تليفون : ٥٩١٩٨٨٨ ـ فاكس : ٥٩٠٢٨٨٨

مقدمة

تتميز كتابات آباء الكنيسة الذين كتبوا باللغة اللاتينية أمثال ترتليانوس، كبريانوس، هيبوليتوس... وآخرون، بواقعيتها وروحها العملية والهادفه إلى ما هو ضروري ونافع للحياة اليومية العملية.

والرسالة التي بين أيدينا «**الأعمال والعطاء**» للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة مثال لإحدى كتابات الآباء اللاتين في القرون الأولى للمسيحية. والمدقّق في كتابات القديس كبريانوس (*) يجد أن هناك خطّاً عملياً سواء في عظاته أو كتاباته يظهر السبب في موضوع حديثه. لذلك نجد انه يكمن دافعان وراء كتابته لهذه الرسالة:

١ – في عام ٢٥٢م تفَشّى مرض الطاعون في قرطاجنة وظلّ يهدّد المقاطعة الغربية للإمبراطورية الرومانية طوال عشرين عاماً، وقد تجاوب المسيحيون مع هذه الكارثة وهبُّوا لنجدة المنكوبين في أنحاء مدينة قرطاجنة، وقد قام القديس كبريانوس بخدمة خاصة لإغاثة المنكوبين، وقد أظهر بهذا الصنيع رحمةً خاصة بالمحتاجين من خلال حثّ المؤمنين على ضرورة العطاء، ولذلك أشار في كتاباته إلى واجب المسيحيين نحو المحتاجين

(*) راجع مختصر لسيرة القديس كبريانوس في مقدمة الترجمة التي صدرت لرسالته بعنوان «الغيرة والحسد» من سلسلة كتابات الآباء (٢)، الإسكندرية ٢٠٠٢ ـ إصدار أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية ـ كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس سبورتنج ـ الإسكندرية.

والاهتمام بمحبة القريب.

٢ – في عام ٢٥٣م حدثت غزوات البربر الهمجية على مقاطعة نوميدين Numidien وتم أسر كثير من المسيحيين، لذلك قام القديس كبريانوس بحملة تبرعات لجمع الأموال حتى يستعيد هؤلاء المأسورين من المسيحيين من أيدي البرابرة نظير مبالغ مالية لافتدائهم، وعلى هذا الأساس كان يحفّز الجماعات المسيحية للنهوض بحملة التبرعات.

هذه الأسباب كانت هي الدافع للقديس كبريانوس كي ما يكتب هذه الرسالة، والتي يحتمل أنها قد كتبت بين عامي ٢٥٣ – ٢٥٦م.

إذا نظرنا إلى الرسالة ككل فإننا لا نجد أنها قد أخذت صورة الكتابات الأدبية، ولكنها تحمل نوعاً من الكتابات الرعوية، والتي تحث المؤمنين على أهمية «الصدقة». وقد دعّم هذه الرسالة عن طريق استخدام كثير من نصوص الكتاب المقدس. كما أننا نلاحظ أنها لا تحوي موضوعات عقائدية باستثناء الثلاث فقرات الأولى حيث أوجد رابطة بين المعمودية التي تعطي التطهير من أدناس الخطية، وبين الصدقة والأعمال الصالحة التي لا غنى عنها لاستمرار فاعلية المعمودية.

في هذه الرسالة ربما يُلاحظ أن هناك مغالاة في إيضاح القديس كبريانوس لمفهوم الصدقة في أنها تغسل من الأدناس مثلما يحدث في المعمودية (فقرات من ١ ـ ٥) ولكن في الواقع نجد أنه يتكلم عن أن ممارسة الصدقة وفعل الخير للمحتاجين هو تطبيق عملي لتعاليم الرب

يسوع «**أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون نقياً لكم**» (لو ١١ : ٤١)، لأن الذي يريد أن يقتني اللؤلؤة الكثيرة الثمن أي الحياة الأبدية فعليه أن يتخلّص من ممتلكاته وميراثه الأرضي، والصدقه ناتجة عن طهارة القلب لذلك ينصحنا المخلّص بالقول : «**بيعوا مالكم وأعطوا صدقة**» (لو ١٢ : ٣٢) لكي نبتعد عن امحبة الغنى ولذة إقتناء المال، الذي هو والد الشهوات والمحرّض علي الدنس الجسدي والذي يربط الذهن البشري برباطات لا تنفكّ ويؤدي به إلى التراخي من جهة كل ما هو صالح. فعندما يصبح الداخل (أي القلب والعقل) نقياً عن طريق ممارسة فعل الرحمة فهذا يكون استمراراً لحفظ مفاعيل المعمودية، فالذي «**يعطف على المسكين يقرض الرب**» (أمثال ١٩ : ١٧) والذي يشارك المسيح في مكاسبه الارضية (عن طريق الصدقة) سيجعله المسيح وارثاً معه في ملكوته السماوي. ومن هنا يحث كبريانوس في هذه الرسالة قائلاً : «**هيا بنا نعطي المسيح الرداء الأرضي لكي ما نحصل على الثواب السماوي، هيا بنا نعطي الطعام والشراب الدنيوي لكي ما نأتي إلى الوليمة السماوية مع إبراهيم واسحق ويعقوب**». (فقرة ٢٤)

تمت ترجمة هذه الرسالة عن الترجمة الإنجليزية التي نُشِرَت في كل من :

Ante - Nicene Fathers,
Volume V. Cyprian, Treatise VIII
Catholic University Press.,
Patristic Series., St. Cyprian, Treatises
Treatise VIII, p. 227 - 253.

وقد روجعت على الترجمة الألمانية التي نُشِرَت في مجموعة :

Bibliothek der Kirchenväter

München. 1918.. Bd. 34. s. 260 - 284.

كما نتوجه بالشكر لقدس أبونا الحبيب **القس / يوحنا نصيف** شرقاوى كاهن الكنيسة المرقسية بالاسكندرية لتطوعه بالقيام بالمراجعة اللغوية لإصدارات الأسرة بدءاً من هذا الكتاب. الرب يعوضه عن تعب محبته.

نسأل الله أن يعطينا بركة تقديم العطاء للآخرين، وأن نجاهد بفرح لأجل إكليل أعمال البرَ ولا نتراخى في جهادنا لأجل أي رغبة في هذه الحياة لنستحق سماع الصوت الإلهي : «**تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم إليّ.. بما أنكم فعلتم بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم**» (مت ٢٥ : ٣٤ ٤٠).

نسأل الله ان يبارك حياتكم وهذا العمل لمجد إسمه القدوس بصلوات صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث ولربنا المجد دائما ابديا امين.

أسرة القديس ديديموس الضرير
للدراسات الكنسية

الأعمال والعطاء

للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة

أعمال البر تطفئ نيران الخطية

١ – أيها الأخوة الأحباء، إن النِعَم الإلهية كثيرة وعظيمة، تلك التي من خلالها أدركتنا المراحم الجزيلة والفياضة التي للّه الآب والمسيح لأجل خلاصنا، ومازالت تدركنا أيضاً. فقد أرسل الآب ابنه لِأجلِ خلاصنا ليحفظنا ويحيينا لكي ما يخلصنا، والابن أيضاً أراد أن يرسَل، وأن يسمى «ابن الإنسانِ» لكي ما نصير نحن أولادِاً للّه، هذا الذي اتضع ليرفع الساقطين، وجرح ليداوي جراحاتنا، وخدم لكي ما يحرر الذين خدمهم، واجتاز الموت ليمنح المائتين عدم الموت. ولكن بجانب ذلك، ترى ما هو مقدارِ تلك العناية الإلهية العظيمة وما هو مدى هذا الجود الإلهي، إذ قد منِحنا خطّة للخلاص واتُّخذَ تدبير لحفظ الإنسان الذي خلص! لأنه بمجيء الرب وشفائه لجراحات آدم التي كان قد حملها، وأيضاً بإبرائه من سم الحية القديمة، أوصاه بألا يعود يخطئ لئلا يكون له أشرّ [1] فلقد كنّا (من قبل) محاصرين ومقيّدين من خلال الأمر بالنقاوة [2] وعجز الضعف البشرى عن أن

---

١ – (راجع يو ٥:١٤).

٢ – يشير القديس كبريانوس في هذه الجملة إلى الناموس الذي قيد الإنسان تحت نيره لكنه عجز عن أن يخلّصه من ذنوبه التي خالف بها الناموس (راجع رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية).

يفعل شيئاً إلى أن جاءت المحبة الإلهية لمساعدة الإنسان، وفتحت لنا طريقاً لتأمين الخلاص من خلال التنبيه على أهمية أعمال البرّ (٣) والرحمة لكي تغتسل ـ من خلال الصدقة ـ كل الأدناس التي تلوثنا بها مؤخراً.

٢ – يقول الروح القدس في الكتاب المقدس «**بالرحمة والحق يُستَر الإثم**» (أم ٦ : ١٦)، ومن الطبيعي أن المقصود بالإثم هنا ليس الآثام التي ارتكبت من قبل لأنها سبق أن تطهرت وتقدست بدم المسيح. كذلك يقول أيضاً : «**الماء يطفئ النار الملتهبة، الصدقة تكفّر الخطايا**» (يشوع بن سيراخ ٣ : ٣٣).

هنا أيضاً أشير وأؤكّد أنه كما تطفأ نيران الجحيم في جرن مياه الخلاص (إشارة إلى المعمودية)، هكذا أيضاً بالعطاء وأعمال البر تطفأ نيران الخطية. وحيث أن غفران الخطايا قد منح مرة في المعمودية، **فإن الإحسان (التصدُّق) الدائم والمستمر أيضاً سيمنح ـ مثل المعمودية ـ من ناحية أخرى نعمة الله** (٤).

---

٣ – «أعمال البر» مثلما ذُكر في كثير من مواضع الكتاب المقدس على سبيل المثال «... كما هو مكتوب فرق أعطى للمساكين بره يبقى إلى الأبد والذي يقدم بذاراً للزارع وخبزاً للآكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم» (٢كو ٩ : ٩ ـ ١٠) تحمل مفهوم البر والإحسان لذلك أخذ القديس كبريانوس هذا المفهوم الإنجيلي وأوضحه بالأكثر في الفقرة ٢٥ من هذه العظة.

٤ – ما يقصده القديس كبريانوس من هذا الحديث عن العطاء أنه ليس عطاءً مادياً من الخارج، وإنما نابع من محبة قلبية لله وللقريب أي إيمان عامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) فإذا =

هذا يعلّمه لنا الرب في الإنجيل إذ عندما لوحظ أن التلاميذ يأكلون بدون غسل أيديهم أولاً (٥) قال: «**أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضًا؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون نقياً لكم**» (لو ١١ : ٤٠ ـ ٤١).

هكذا يوضّح لنا السيد المسيح ويشير إلى أنه **ليست اليدان هي التي ينبغي أن تُغسل بل القلب**، وأن الدنس الداخلي هو الذي يجب أن ينزع وليس الخارجي، والذي يطهّر ما بالداخل فقد طهّر أيضاً ما بالخارج، وبطهارة القلب يصير الجلد والجسد طاهرين. علاوة على ذلك فقد نصحنا وأوضح لنا كيف يجب أن نكون أنقياء وطاهرين، حين أضاف قائلاً أنه لابد من الصدقة. فالرحيم يحثّنا على أن

= تغيّر القلب وصار محباً لله وللقريب فهذا التغير هو التوبة الحقيقية. والكنيسة تُسمّي التوبة ـ كحياة معاشة ـ «المعمودية الثانية» ومن هنا يكون العطاء هو علامة التوبة التي تسري في داخل الإنسان وبهذا يصبح الداخل نقياً. فعندما ربط القديس كبريانوس بين العطاء والمعمودية كان يقصد العطاء الذي هو ثمرة تغيير القلب بالتوبة التي هي المعمودية الثانية التي يحياها الإنسان المسيحي كل حياته بعد معموديته الأولى من خلال السر الكنسي. وسيأتي هذا الإيضاح في الفقرة رقم ٨ من هذا الكتاب . ويؤكد القديس كيرلس الإسكندري في تفسيره للإنجيل بحسب القديس لوقا على أن الطمع والبخل والربح القبيح هو داء يمتلك على القلوب غير الرحيمة، والشفاء من هذا الداء يصل بالإنسان إلى نقاء الفكر والقلب ويصير بالتالي عابداً حقيقياً لله (راجع تفسير إنجيل لوقا، للقديس كيرلس الإسكندري، الجزء الثالث، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار مؤسسة القديس أنطونيوس ـ مركز دراسات الآباء، القاهرة ١٩٩٦م، صفحات ٨٢ ـ ٨٧).

٥ – راجع (مت ١٥ : ٢)، (مر ٧ : ٢)، (لو ١١ : ٣٨).

نمارسِ الرحمة، ولأنه يريد خلاص هؤلاء الذين فداهم بثمن غالٍ، فهو يعلِّم أن أولئك الذين تدنسوا بعد المعمودية يمكنهم أن يتطهروا من جديد.

٣ – لهذا أيها الإخوة الأحباء فلنعترف بعطية النعمة الإلهية الشافية بأن نُطهِّر وننقّي نفوسنا من خطايانا، ولنعالج جراحاتنا بالعلاج الروحي، نحن الذين لا يمكن لنا أن نتحرّر من بعض جراحات الإنسان الباطن. فلا يمدح أحد نفسه على قلبه النقي والطاهر ويظن أنه بسبب نقاوته لا يحتاج دواءاً لجراحه، لأنه مكتوب «**من يقول أني زكيت قلبي تطهّرتْ من خطيتي؟**» (أم ٢٠ : ٩)، كذلك يقول يوحنا في رسالته «**إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا**» (١ يو ١ : ٨)، فإن كان لا يمكن ان يوجد شخص بلا خطية - ومن يقول أنه بلا خطية فهو إما متكبر أو غبي - فكم تكونِ الحاجة للرحمة الإلهية، ويا لعظم حنانه، إذ عرف أن هؤلاء الذين شفوا من جراحاتهم لابد وأن يجرحوا مرة أخرى، لذلك أعطى العلاج الشافي لتلك الجراحات لكي يتم الشفاء من جديد.

الرحمة تكون لمن يعمل الرحمة :

٤ – إن التحذير الإلهي أيها الإخوة الأحباء لم يكفَّ ولم يصمت قط في أي موضع عن أن يحثّ شعب اللّه على أعمال الرحمة سواء في العهد القديم أو الجديد، كما أنه من خلال صوت الروح القدس المشجّع يدعو كل من يهتدي لرجاء ملكوت السموات إلى تقديم

الصدقة. فاللّه يدعو ويأمر إشعياء قائلاً: «**ناد بصوت عال لا تمسك، ارفع صوتك كبوق وأخبر شعبي بتعدّيهم وبيت يعقوب بخطاياهم**» (إش ٥٨ : ١) وبعد أن لامهم الرب على خطاياهم ووضع أمامهم آثامهم بكامل قوة غضبه، أوضح لهم قائلاً أنه لا يمكن أن يقدّموا ما يكفّرون به عن خطاياهم، فلا بالتجائهم للصلاة والأصوام ولا حتى بالجلوس في المسوح والرماد يمكنهم أن يستعطفوا اللّه، حيث أوضح لهم في النهاية أن التصالح مع اللّه يكون بالعطاء فقط [٦] ويضيف قائلاً : «**أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تُدخِل المساكين التائهين إلى بيتك، إذا رأيت عريانًا أن تكسوه، وأن لا تتغاضَى عن لحمك؟ حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعاً ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك حينئذ تدعو فيجيب الرب تستغيث فيقول هانذا**» (إش ٥٨ : ٧).

٥ – إن الوسائل لمصالحة اللّه قد أعطيت لنا من كلام اللّه نفسه، فالوصايا الإلهية تُعلِّم أن إرضاء الرب يكون بالأعمال المستقيمة وأن الخطايا تتطهر بفضل الرحمة [٧] وفي سليمان نقرأ «**أغلق على الصدقة في مخازنك، فهي تنقذك من كلّ شر**» (يشوع بن سيراخ ٢٩: ١٢) وأيضاً : «**من يسدّ أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يَصرخ ولا**

---

٦ – يهاجم القديس كبريانوس هنا العبادة الشكلية التي تعتمد على المظهر فقط دون أن ترتبط بأعمال حية أنظر فقرة ١٢ في هذا الكتاب.

٧ – راجع حاشية رقم ٤ في هذا الكتاب.

يُستجاب» (أم ٢١ : ١٣) فلن يستحق رحمة الرب من كان هو نفسه بلا رحمة، ومن لم يكن رحيمًا تجاه دعاء المسكين لن ينال أي طلب من المحبة الإلهية. فهوذا الروح القدس يعلن ويؤكد في المزامير على ذلك بقوله : «طوبى للذي ينظر إلى المسكين، في يوم الشر ينجيه الربِ» (مز ٤١ : ٢). وأيضاً كان هذا المبدأ في ذهن دانيال عندما أعطى علاجاً للملك نبوخذ نصّر (إذ كان الملك خائفاً وقلقاً بسبب حلم رديء) ليتجنب الشرور بنوال المعونة الإلهية فقال له : «لذلك أيها الملك فلتكن مشورتي مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمسكين لعله يطال اطمئنانك» (دا ٤ : ٢٧). وعندما لم يعمل الملك بتلك المشورة عانى من المصائب والمشاكل التى حلّت به والتي كان في إمكانه أن يتجنبها وينجو منها لو كان قد افتدى نفسه من خطاياه من خلال العطاء.

والملاك رافائيل أيضا يشهد هكذا ويحثّ على ممارسة العطاء بكرم وبسخاء بقوله: «صالحة الصلاة مع الصوم والصَدَقَة خير من ادخار كنوز الذهب. لأن الصدقة تنجّي من الموت وتمحو الخطايا» (طو١٢ : ٨ – ٩). فيوضّح أن صلواتنا وأصوامنا تكون لها فائدة أقل ما لم يساندها العطاء، والتضرّعات وحدها تاتي بقليل ما لم تكمل بإضافة الأفعال والأعمال. فالملاك يكشف ويوضّح ويؤكّد أن طلباتنا تكون لها فاعليتها بالعطاء، وأن حياتنا تنجو من المصائب بالعطاء، وأن نفوسنا تتحرر من الموت بالعطاء.

٦ – أيها الأخوة الأحباء نحن لن نستخدم الآيات القادمة بغرض إثباتِ شهادة الحق التي قالها الملاك رافائيل. ففي أعمال الرسل [٨] قد ثبت صدق كل ذلك، وقد اكتشفنا أنه بالعطاء تتحرر النفوس، ليس من الموت الثاني فقط بل من الموت الأول أيضاً بدليل ما تم وحدث بالفعل.

فعندما مرضت طابيثا ـ التي كانت تحب الأعمال الصالحة والعطاء ـ ثم ماتت، دعي بطرس إلى جثمانها الذي كان بلا حياة، وعندما أتى مسرعاً بمحبة رسولية وقفت حوله الأرامل باكيات ومتوسّلات وهن يرينه أقمصة وثياباً مما قبلن منها، **فهكذا كُنّ يتضرعن لأجلها، لا بكلامهن بل من خلال أعمالها هي**. فشعر بطرس أن ما يطلب بهذه الطريقة يكون نواله ممكناً، وأن المسيح لن يتخلّى عن هؤلاء الأرامل اللاتي كنّ يطلبن، إذ كان الرب نفسه قد اكتسى بملابس صنعتها له الأرامل. وهكذا عندما جثا بطرس على ركبتيه وصلّى، وكشفيع لائق للأرامل والفقراء قدّم التضرعات التي حملّوه إياها أمام الرب، نظر إلى الجثمان المغسول الموضوع على الفراش وقال «**يا طابيثا قومي باسم يسوع المسيح**» (أع ٩ : ٤٠) فلم يتأخر الرب عن معونة بطرس وهو الذي قال في إنجيله ان كل ما يطلب باسمه يعطى [٩] وهكذا طرد الموت، وعادت الروح إلى طابيثا،

---

٨ – راجع (أع ٩: ٣٦).
٩ – راجع (يو ١٤: ١٣).

ووسط تعجب الجميع ودهشتهم قام الجسد ودبت فيه الحياة من جديد. فهكذا كانت قوة فضيلة الرحمة، وهكذا أتت الأعمال الصالحة بنفع! فتلك التي أعطت معونة للأرامل المتألمات لكي يحيين استحقت أن ترجع إلى الحياة من خلال طلبات هؤلاء الأرامل.

العطاء وصية إلهية :

٧ – هكذا نرى في الإنجيل أن الرب الذي هو معلم حياتنا ومرشدنا إلى الخلاص الأبدي، الذي بعث الحياة لشعب المؤمنين وزوّدهم بكل شيء بعد أن أحياهم، لا يأمر في وصاياه الإلهية ومبادئه السماوية بأكثر إلحاحاً إلا أن نستمر في العطاء، وألا نعتمد على الكنوز الأرضية بل نكنز الكنوز السماوية فيقول : «**بيعوا أمتعتكم وأعطوا صدقة**» (لو ١٢ : ٣٣) ويقول أيضاً : «**لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً**» (مت ٦ : ١٩ – ٢١) . وعندما أراد أن يعلّم الرجل الغني الذي كان كاملاً وبلا عيب بحفظ الوصايا قال : «**إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني**» (مت ١٩ : ٢١) . وهكذا قال في موضع آخر أن من يريد أن يتاجر في النعمة السماوية ويقتني الخلاص الأبدي عليه أن يتخلص من ممتلكاته وأن يشتري من ميراثه الأرضي اللؤلؤة الكثيرة الثمن أي الحياة الأبدية، وهي

غالية لأن ثمنها هو دم المسيح. فيقول : «أيضاً يُشبه ملكوت السماوات إنساناً يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ماله واشتراها» (مت ١٣ : ٤٥ – ٤٦).

٨ – وأخيراً أيضاً يدعو هؤلاء الذين يراهم مهتمّين بمساعدة وإطعام الفقراء أولاد إبراهيم. فعندما قال زكا : «ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف» أجاب يسوع قائلاً : «اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضا ابن إبراهيم» (لو ١٩ : ٨ – ٩). فإن كان «إبراهيم قد آمن بالله، وإيمانه هذا حُسب له براً» [١٠] فبالتأكيد من يعطي صدقة حسب وصية الله فإنه يؤمن بالله، ومن له الإيمان الحقيقي فإنه يبقى في خوف الله، كما أن من يخاف الله يضع له اعتباراً في صنعه رحمة بالفقير. فهو يعمل هذا لأنه يؤمن بالله [١١]، ولأنه يعلم أن تلك الأمور التي تنبئ عنها في كلام الله حقيقة وأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يكذب، وأن الشجرة غير المثمرة [١٢] ـ والمقصود بها الإنسان العقيم (أي الذي لا يعطي) ـ تقطع وتلقى في النار، وأما الرحماء فإنه يدعوهم للملكوت وفي موضع آخر يلقّب عاملي الخير والمثمرين «أمناء» أما غير المثمرين والعقماء لا يدعوهم كذلك بل يقول لهم :

١٠– راجع (تك ١٥: ٦)، (غلا ٣ : ٦).

١١ – راجع حاشية رقم ٤ في هذا الكتاب.

١٢ – راجع (مت ٣ : ١٠)، (مت ٥ : ٧)، (مت ٧ : ١٩)، (لو ٣ : ٩).

«**إن لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يأتمنكم على الحق؟ وإن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم؟**» (لو ١٦ : ١١ - ١٢).

كيف يحتاج المعطِي بسخاء؟

٩ - ولكن إن كنتَ خائفًا وتخشى أن تعطي بسخاء لئلا ينفذ ميراثك بسببِ عطائك السخي وأنك فرضاً قد تفتقر، فلا تقلق من هذا الموضوع وكن مطمئنا: **فإن ما يُصرَف في خدمة المسيح**، وفي **الأعمال السماوية** (أي أعمال الخير) **لا ينفُذ** وأنا لا أَعِدك بهذا على أساس كلامي فقط ولكنّي أعدك من خلال الإيمان بالكتب المقدسة وبضمان الوعد الإلهي. فالروح القدس يتحدث على لسان سليمان ويقول: «**من يعطي الفقير لا يحتاج ولمن يحجب عنه عينه لعنات كثيرة**» (أم ٢٨ : ٢٧)، وهكذا يوضح أن الرحماء وفاعلي الخير لن يأتي عليهم وقت يحتاجون فيه إلى شيء، وعلى العكس فالشحيح والعقيم سيأتي عليه وقت يجد نفسه في إحتياج.

هكذا يقول الطوباوي بولس الرسول الممتلئ من نعمة وَحْي الرب: «**والذي يقدم بذاراً للزارع وخبزاً للآكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم مستغنين في كل شيء**» (٢كو٩ : ١٠ - ١١). وأيضا: «**لأن افتعال هذه الخدمة ليس يسد أعواز القديسين فقط بل يزيد بشكر كثير بالله**» (٢كو ٩ : ١٢)، لأنه عندما يشكر الفقراء الرب في صلواتهم على عطايانا وأعمالنا الصالحة فإن فاعل الخير يزداد غنِى

كمكافأة له من عند الرب، والرب إذ ينظر إلى قلوب هؤلاء الرجال ويشجب قليلي الإيمان وغير المؤمنين يشهد في الإنجيل ويقول: «**فلا تهتمّوا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلَم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تُزاد لكم**» (مت ٦ : ٣١ – ٣٣). يقول أن هذه كلها تعطى وتزاد لهؤلاء الذين يطلبون ملكوت الله وبرَّه، لأن الرب يؤكّد أنه عندما يأتي يوم الدينونة فكل الذين فعلوا الصالحات في كنيسته سوف يقبلون في الملكوت.

١٠ – أنت تخشى أن تخسر ميراثك الأرضي لو بدأت تتصدّق منه بسخاء، وانت لا تعلم ايها الإنسان البائس انه بينما تخاف ان تفقد ثروتك، فإنك تفقد الحياة نفسها وتفقد الخلاص. وبينما تقلق من أن تقلّ أي من ممتلكاتك فأنت لا تنتبه، يا من تحب المال أكثر مما تحب نفسك، أنك أنت ذاتك تقلّ. **وبينما تخاف على أموالك من أجل نفسك فإن نفسك تهلك من أجل أموالك!**

لذلك حسناً يقول الرسول: «**لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء، فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخّ وشهوات كثيرة غبية ومُضرة تغرق الناس في العطَب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة**» (١ تى ٦ : ٧ – ١٠).

١١ – هل تخشى من أن تتضاءل ممتلكاتك متى بدأت تمارس الصدقة بفيض؟ فمتى حدث أن نفذت ثروة رجل صدِّيق؟ أليس مكتوب «**الرب لا يُجيع نفس صدِّيق**» (أم ١٠ : ٣)؟ فإيليا أطعم بواسطة الغربان الذين خدموه في الصحراء [١٣]، وعندما كان دانيالَ محبوساً في جب الأسود بأمر الملك أُعدّت له وجبة من السماء [١٤]. **وأنت تخشَى من أن ينقُصَك الطعامَ عندما تعمل الخير وتكون مستحقاً لخدمة الرب؟**

فالرب نفسه يشهد في الإنجيل مُبكّتاً الشكاكين وقليلي الإيمان ويقول : «**انظروا إلى طيور السماء أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها، ألستم أنتم بالحرى أفضل منها؟**» (مت ٦ : ٢٦).

---

١٣ – راجع (١مل ١٧ : ٦).

١٤ – يشير القديس كبريانوس إلى قصة طرح دانيال في جب الأسود المذكورة في تتمة دانيال (الموجودة في الترجمةِ السبعينية) : «فألقوه في جب الأسود فكان هناك ستة أيام. وكان في الجب سبعة أسود يلقَى لها كل يوم جثتان ونعجتان فلم يلق لها حينئذ شيء لكي تفترس دانيال. وكان حبقوق النبي في أرض يهوذا، وكان قد طبخ طبيخاً وثرد خبزاً في جفنة وانطلق إلى الصحراء ليحمله للحصادين. فقال ملاك الرب لحبقوق احمل الغذاء الذي معك إلى بابل إلى دانيال في جب الأسود. فقال حبقوق أيها السيد إني لم أر بابل قط ولا أعرف الجب. فأخذه ملاك الرب وحمله بشعر رأسه ووضعه في بابل عند الجب باندفاع روحه. فنادى حبقوق قائلاً : يا دانيال يا دانيال خذ الغذاء الذي أرسله لك الله» (دا ١٤ : ٣٠ – ٣٨).

فالرب يُطعِم الطيور ويُعطي القوت اليومي للعصافير، وأيضاً تلك الكائنات التي لَيس لها أي إدراك بالأمور الإلهية لا ينقصها أبداً المأكل أو المشرب فهل تعتقد أنه ممكن للإنسان المسيحي، خادم الرب المكرّس لعمل الخير، الذى هو عزيز في عينيّ الرب، أن ينقصه أي شيء؟

١٢ – **هل تعتقد أن الذي يُطعِم المسيح (بإطعامه الفقراء) لن يطعمه المسيح؟ أو أن أولئك الذينَ وهبوا عطايا سماوية وإلهية يمكن أن تنقصهم أمور أرضية؟** من أين هذا الفكر الخالي من الإيمان؟ من أين هذا التفكير عديم التقوى والذميم؟ ماذا يفعل قلب غير المؤمن في بيت الإيمان؟ كيف تعتبر وتدعى مسيحياً يا من لا تؤمن بالمسيح على الإطلاق؟ فكلمة «فرّيسي» تليق بك بالأكثر! لأن الرب حينما كان يتكلم في الإنجيل عن العطاء سبق وأعطانا التنبيه الوافي والشافي **بأن نصنع لأنفسنا أصدقاء بأموالنا لكي ما نُقبَل في المظال الأبدية** (لو ١٦ :٩)، وأضاف الكتاب المقدس الكلمات الآتية: «**وكان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كله وهم مُحبّون للمال فاستهزأوا به**» (لو ١٦ : ١٤) فنحن نرى الآن مثل هؤلاء الأشخاص في الكنيسة. هؤلاء الذين لا يدخل نور التحذيرات الروحية والخلاصية إلى أذانهم المغلقة وقلوبهم العمياء، فيجب ألا نتعجّب من استهزائهم بالخادم في وعظه لأننا نرى أن أمثال هؤلاء قد استهزأوا بالرب نفسه.

الأغنياء الأغبياء يخسرون!

١٣ – لماذا تسمح لنفسك أن تُصدِّق هذه الأفكار الخاوية والغبية وكأن خوفك وقلقك من المستقبل يمنعك من عمل الخير؟ لماذا تتصوّر خيالات وأوهام معيّنة لتكوِّن عذراً باطلاً؟ فلتعترف بالحقيقة ولتكشف الأمور السرية المختبئة في قلبك لأنك لا تستطيع أن تخدع الفاهمين. فظلمة العقم (عدم العطاء) قد أطبقت على فكرك، وإذ قد تسرب نور الحق إلى خارج فكرك، فإن الظلام الدامس والكثيف للبخل قد أعمى قلبك اللحمي. **فأنت إذاً أسير وعبد لأموالك ومقيَّد بسلاسل وأربطة الطمع. وأنت الذي حرَّرك المسيح قد قُيِّدت من جديد أنت تدَّخر أموالك التي لن تخلصك عندما تدَّخرها.** أنت تكدّس ثروتك التي تثقل عليك بثقلها، ولا تفكّر في ما قاله الرب للرجل الغني الذي تفاخر بفرح بسبب فيض حصاده الكثير: «**يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟**» (لو ١٢ : ٢٠). لماذا تطيل التفكير فقط في غناك؟ لماذا تثقّل على نفسك حمل ثروتك حتى أنه كلما ازداد غناك في نظر العالم ازداد فقرك في نظر الله؟ قسّم إيرادك مع الرب إلهك، شارِك المسيح في مكاسبك، **واجعل المسيح شريكاً لك في ممتلكاتك الأرضية حتى يجعلك هو أيضاً وارثاً معه في ملكوته السماوي.**

١٤ – فأنت خاطئ ومخدوع يا من تظنّ نفسك غنياً في العالم. اسمع صوت الرب في سفر الرؤيا حينما بكّت مثل هؤلاء (الأغنياء

في أعين أنفسهم) قائلاً : «لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفّى بالنار لكي تستغني وثياباً بيضاً لكي تلبس فلا يظهر خزي عريتك وكحل عينيك بكحل لكي تبصر» (رؤ٣ : ١٧ – ١٨).

لذلك أيها الغني والثري اشترِ لنفسك من المسيح ذهباً مصفّي بالنار حتى تصبح ذهباً نقياً. عندما تحترق بالنار الشوائب التي فيك بالعطاء والأعمال الصالحة. اشترِ لنفسك ثوباً أبيض يا من كنت عرياناً مثل آدم وكان شكلك بشعاً وغير لائق، يمكنك الآن أن ترتدي ثوب المسيح الأبيض. وأنتِ أيتها السيدة الغنية والثرية، كحلي عينيك، لا بكحل الشيطان بل بكحل المسيح فتستطيعين ان تنظري الرب عندما تستحقين الخير من الرب من خلال سلوكك وأعمالك الصالحة.

لا عذر لمن لا يعطى :

١٥ – فأنت يا مَن لا تستطيع أن تعمل عمل الخير في الكنيسة لأجل عينيك المغطاة بالسواد وبظلال الليل، فلا تقدر أن ترى الفقراء والمحتاجين. هل تعتقد أيها الغني والثري - يا من لا تفكّر بالمرّة في صندوق العطاء، يا من تاتي إلى عشاء الرب بدون ذبيحة، يا من تشترك في ذبيحة قدّمها الرجل الفقير - أنك تستطيع أن تشترك في عشاء الرب؟ انظر في الكتاب المقدس فترى أرملة مهمّة بالوصايا

الإلهية، قد أعطت حتى في وسط ضغوط وضيقات الفقر، وألقت في الخزانة فلسين هما كل ما تملكه، وعندما لاحظها ورآها الرب نظر إلى عملها ـ لا لأجل كمّ المال بل لأجل النيّة ـ وأجاب قائلاً: «**بالحق أقول لكم أن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا في قرابين الله، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل المعيشة التي لها**» (لو ٢١ : ٣ – ٤).

إمرأة مباركة وعظيمة جداً، تلك التي حِتى من قبل يوم الدينونة استحقت أن يمدحها صوت الديان! ليخز الرجل الغني لأجل عدم إثماره وبليته! فها أرملة فقيرة تعطي وبالرغم أن كل العطايا المقدمة تعطى للأرامل والأيتام، إلا أنها أعطت، وهي التي كان يجب أن تقبل العطية. وهذا يعرفنا كم يكون العقاب الذي ينتظر الرجل الغني فهذا الموقف يعلّمنا أنه على الفقراء أيضاً أن يفعلوا الخير. ويجب أن نفهم أن هذه الأعمال تُقدّم لله، وكل من يفعل هكذا يستحق الخير من الله، فالمسيح يدعو تلك العطايا «**قرابين الله**» ويشير إلى أن الأرملة وضعت فلسين في «**قرابين الله**»، حتى يوضّح جلياً أن **من يعطف على المسكين يُقرض الرب** (أم ١٩ : ١٧).

١٦ – قد يفكر أحد انه معفي من العطاء لاجل منفعة اولاده. لا تجعلوا أيها الأخوة الأعزاء هذا التفكير يُقيّد المسيحي ويرجعه عن عمل الخير. لكننا في العطايا الروحية يجب أن نضع اعتباراً للمسيح الذي قال أنه سيقبلها (راجع مت ٢٥ : ٤٠) ونحن لا نفضّل العبيد

رفقاءنا على أولادنا ولكننا نفضّل الرب عليهم، فهو ينبهنا ويحذرنا بقوله : «**من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني**» (مت ١٠ : ٣٧) وهكذا أيضاً نرى أشياء مماثلة مكتوبة في سفر التثنية لأجل تقوية الإيمان ومحبة اللّه يقول الرب: «**الذي قال عن أبيه وأمه لم أرهما وبإخوته لم يعترف وأولاده لم تعرف بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك**» (تث ٣٣ : ٩) فإن كنا نحب اللّه بكل قلوبنا فيجب ألا نفضّل الأهل أو الأبناء على اللّه. ويقول يوحنا أيضاً هكذا أن محبة اللّه لا توجد في هؤلاء الذين نراهم لا يريدون عمل الخير للفقراء: «**وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجًا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه؟**» (١يو ٣ : ١٧) **فإذا كنا بعطاء الفقراء نجعل الله مَديناً لنا وعندما نُقدِّم (العطاء) للأدنياء فإننا نُعطي للمسيح** (أم ١٩ : ١٧). فلا يوجد سبب إذن لتفضيل الأرضيات على السماويات أو أن نضع الأمور البشرية فوق الأمور الإلهية.

١٧ – هكذا فالأرملة [١٥] بعد أن نفذ منها كل شيء بسبب الجفاف والمجاعة وخبزت كعكة على الرماد بقليل من الدقيق والزيت المتبقّين لديها، وكان من المنتظر أن تموت هي وابنها بعد أن يأكلا هذه الكعكة جاء إليها إيليا وطلب منها أن تعطي له أولاً ليأكل ثم تأكل هي وابنها مما تبقّى. لم تتردد الأرملة في إطاعته ولم تفضل الأم

---

١٥ – (١مل ١٧ : ٦ – ١٠)، (لو ٤ : ٢٦).

ابنها على إيليا في المجاعة وفي العوز، بل فعلت ما هو مَرضي في نظر اللّه وبسرعة وبفرح قدّمت ما طلب منها، **ولم تعط جزءاً من الكثير بل أعطت الكل من القليل**، وأطعمت آخر قبل ابنها. وفي الفقر والجوع لم يعتبر الطعام اهم من الرحمة، فبينما من اجل عمل الخير قد استهانت بالحياة حسب الجسد، لذلك خلصت نفسها بطريقة روحية. هكذا فإيليا كمثال للمسيح، مبيّناً أنه يعطي الكل حسب رحمته، أجاب قائلاً : «**لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل أن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي يعطي الرب مطراً على وجه الأرض**» (١مل ١٧ : ١٤ – ١٥). وبحسب إيمان الأرملة في الوعد الإلهي، فما أعطته قد تضاعف وتزايد لها وكما نمت وتزايدت أعمالها الصالحة وفضائل الرحمة، هكذا امتلات اواني الدقيق والزيت ولم تحرم الأم ابنها مما أعطته لإيليا بل أعطته ما فعلته برحمة وتقوى. ولكنها لم تكن قد عرفت المسيح، ولم تكن قد سمعت وصاياه. ولم تقدم الطعام والشراب عرفاناً بدمه كمن فداها المسيح بصليبه وآلامه. وهكذا يتضح كم يخطئ في الكنيسة ذلك الذي يقدم نفسه وأولاده على المسيح، فيدّخر أمواله ولا يشارك الفقراء المعوزين في ميراثه الأرضي الوفير.

١٨ – قد تقول أن لك أبناء كثيرين في بيتك، وأن كثرة أبنائك هذه تمنعك من أن تقدم على فعل الخير. ولكن بسبب كثرة أبنائك لهذا يجب عليك بالأحرى أن تكثر من أعمال الخير حيث أنك أب

لأولاد كثيرين. فلك الكثير ممن تطلب من أجلهم أمام الرب، ولك الكثير ممن يجب أن تكفّر عن خطاياهم ولك الكثير ممن يجب أن تُطهّر ضمائرهم والكثير ممن يجب أن تحرر نفوسهم . فكما أنه في هذه الحياة الأرضية، كلما زاد عدد أبنائك كلما زادت المصروفات من أجل قوتهم ومن أجل مطالب الحياة، كذلك في الحياة الروحية والسماوية كلما زاد عدد أبنائك كلما وجب أن يزداد الإنفاق في الأعمال الصالحة. فهكذا قدّم أيوب ذبائح عديدة لأجل أولاده، وبقدر ما كان عدد أولاده كبيراً هكذا كان عدد ذبائحه التي يقدمها للرب كبيراً. ولأنه لا يمكن أن يمضي يوم دون أن يخطئ أحدهم أمام الرب، هكذا كانت لا تنقطع الذبائح يومياً حتى تمحى الخطايا بها. والكتاب المقدس أثبت ذلك بقوله: « **وولد له سبعة بنين وثلاثة بنات... وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدّسهم وبكّر في الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم**» (أي ١ : ٢ – ٥).

إذاً، إذا كنت حقاً تحب أولادك، وإذا كنت تريد أن تكشف لهم عذوبة حبك الكامل لهم كأب، فيجب عليك أن تكثر من أعمال المحبة حتى تستودع أبناءك لدى الله من خلال أعمالكَ الصالحة.

الله الراعي الحقيقي لأولاده :

١٩ – لا تعتبره كأب لأبنائك، ذاك الإنسان (نفسك) الذي هو زمني وضعيف، **بل اقتن الرب الذي هو الأب الأبدي والقوي لأبنائك**

الروحيين. سلِّم له كل ثروتك التي تحتفظ بها الآن. اجعله وصياً على أبنائك لأنه هو الذي يعتني بهم ويحميهم بعظمته الإلهية من كل شرور العالم.

عندما توضع ثروتك تحت عناية اللّه، لا تصادرها الدولة أو يستولي عليها جابي الضريبة ولا تبدِّد خلال الدعاوي القضائية حينئذ يكون الميراث في أمان تحت عناية اللّه، هذا لكيما توفِّر احتياجات المستقبل لأبنائك الأعزاء، لتوفِّر الاحتياجات لمن سيرثونك بمحبة أبوية، حسب إيمان الكتاب المقدس الذي يقول : «**أيضاً كنت فتى وقد شخت ولم أرَ صدّيقاً تُخلِّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة**» (مز ٣٧ : ٢٥ – ٢٦) ومرة اخرى يقول «**الصديق يسلك بكماله، طوبى لبنيه بعده**» (أم ٢٠ : ٧). فإن كنت لا تبحث عن مصلحة أبنائك بأمانة، وإن كنتِ لا تعطي إهتماماً بخلاصهم بمحبة حقيقية وروحانية فأنت كأب تُعَدّ كمذنب وكخائن. لماذا تشتاق للثروة الأرضية أكثر من الثروة السماوية؟ لماذا تفضل أن تستودع أولادك للشيطان أكثر من المسيح؟ إنك تخطئ مرتين وترتكب جريمة مضاعفة ومزدوجة فأنت لا توفر لأبنائك عناية اللّه أبيهم، وأيضا تُعلِّم أولادك أن يحبوا ممتلكاتهم أكثر من المسيح.

٢٠ – كن أباً لأبنائك كما كان طوبيا كذلك. أعطهم تعاليم نافعة ومفيدة كما أعطى طوبيا لابنه. شدِّد على أبنائك كما شدَّد هو أيضاً

قائلا : «اسمعوا يا بَنيّ لأبيكم، اعبدوا الرب بحق وابتغوا عمل مرضاته وأوصوا بذويكم بعمل الحق والصدقات وأن يذكروا الله ويباركوه كل حين بالحق وبكل طاقتهم» (طو ١٤: ١٠ – ١١) مرة أخرى يقول: «وأنت فليكن الله في قلبك جميع أيام حياتك واحذر أن ترضى بالخطيئة وتتعدّى وصايا الرب إلهنا. تصدَّق من مالك ولا تحوِّل وجهك عن فقير وحينئذ فوجهُ الرب لا يُحوَّل عنك. كن رحيما على قدر طاقتك، إن كان لك كثير فابذل كثيراً وإن كان لك قليل فاجتهد أن تبذل القليل عن نفسٍ طيبة فإنك تدّخر لك ثوابا جميلاً إلى يوم الضرورة لأن الصدقة تُنجيٌ من كل خطيئة ومن الموت ولاتدع النفس تصير إلى الظلمة. إن الصدقة هي رجاء عظيم عند الله العلي لجميع صانعيها» (طو ٤: ٦ – ١٢).

المكافأة الأبدية للذين يعطون الصدقة :

٢١ – يا لها من عطية عظيمة أيها الإخوة الأعزاء، هذه العطية التي تقديمها يكون أمر عظيم في نظر اللّه، فإذا كان عند إهداء الأمميين للهدايا يبدو حضور القائد أو الإمبراطور عظيم ورائع ويكون كَمّ التحضير والتكليف كبيراً جداً من جانب أولئك الذين يقدمون الهدايا كي ما يرضوا هذه الشخصيات الهامة، فما بالكم لو كان الحاضر هو اللّه (الآب) والمسيح، فكم ينبغي أن يكون في هذه الحالة التحضير أفخم والإنفاق أكثر سخاءً عندما تجتمع القواتُ السمائية من أجل المشاهدة، وتجتمع كل الملائكة، حين لا يكافأ من يعطي بمركبة

ذات أربعة خيول، أو برئاسة ما، بل تُعطَى له الحياة الابدية. ولا ينال رِضى الجمهور الخاوي والمؤقت، بل يقبل المكافأة الابدية التي لملكوت السماوات.

٢٢ – أما الكسالي والعقماء الذين لا يتعبون - ولو بقليل في الأعمال الصالحة - لنوال ثمار الخلاص بسبب حبهم للمال، فليكن لهم الخزي وليُعذَّب استحياؤهم وخزيهم ضمائرهم غير النقية، ليضع كل واحد فيهم أمام عينيه الشيطان مع خدامه - أي مع شعب الهلاك والموت - وهو منطلق إلى الوسط مستثيراً أتباع المسيح - والمسيح نفسه حاضر ويدين - وهو (الشيطان) يقارن متحدياً قائلاً [١٦] «لأجل هؤلاء الذين ترونهم حولي لم أقبل الضربات ولم أحتمل الجلد ولم أحمل الصليب ولم أسفك الدم ولم أفد عائلتي بثمن الآلام والدم وهكذا أيضاً لا أعدهم بملكوت سماوي ولا أدعوهم مرة أخرى إلى الفردوس بعد ردّهم إلى عدم الموت من جديد... ومع ذلك ما أغلى وأفخم الهدايا التي يحضرونها لي، وكم من تعب يتعبونه من أجلي بوسائل البذخ، إذ يرهِنون أو يبيعون كل ما لهم وإن لم يأت منهم عرض متميز يطرحون خارجاً بإهانات واستهجان، وفي» أوقات قد يصل بغضب الجمهور إلى حد الرجم حتى الموت [١٧] فلترنا أيها المسيح أتباعك

١٦ – في الفقرة التالية يسرد القديس كبريانوس حواراً تخيلياً موجهاً من الشيطان إلى المسيح مقارناً بين رد الفعل الجاحد للإنسان تجاه محبة الله وعلى العكس مسايرة الإنسان للشيطان رغم كراهيته له.

١٧ – الحديث هنا عن شكل من أشكال العادات التي شاعت عند الوثنيين.

الذين يعطون، هؤلاء الرجال الأغنياء، فلترنا أولئك الأثرياء بثراء فاحش إن كانوا يعطون في الكنيسة ـ حيث أنت قائم وتنظر ـ تقدمات من هذا النوع بعد رهن وتوزيع ممتلكاتهم أو بالأحرى تحويلها إلى كنوز سمائية بتبديل ما يملكونه بما هو أحسن.

فبعطاياي الفانية والأرضية لن يُطعَم أحد ولن يلبس أحد ولن يُعالِ أحدٌ بالأكل أو بالشرب تعزيةً له، فكل شيء في وسط غرور من يعطي وضلال المتفرج يفنى لأجل الكبرياء الغبي الذي للمتع الخادعة. ولكن في وسط فقرائك (أيها المسيح) فأنت مكسياً وشبعاناً وأنت تَعد هؤلاء الذين يعطون الصدقة بالحياة الأبدية. ورغم أنك تكرمهم بمكافآت إلهية ومجازاة سماوية فنادراً ما يتساوى أتباعك مع اتباعي!».

٢٣ – بماذا نجيب على كل هذا الكلام أيها الاخوة الأعزاء؟ بأي طريقةٍ ندافع عن العقمِ (أي البخل) الدنس وأفكار الأغنياء والمغطاة بليلٍ مُظلم؟ بأي عذر نبرئهم نحن الذين أقل من خدام إبليس؟ إذ أننا لا نرد للمسيح ولو بقليل ثمن آلامه ودمه؟ لقد أعطى لنا الرب وصاياه، لقد علّمنا ما الذي يجب أن يفعله خدامه واعداً بأجر لكُلِ من يعطي صدقة ومهدِّداً بعقاب للعقيم (البخيل). فقد وضّح لنا حكمه. وقد سبق وقال ماذا سيكون قضاؤه. أي عذر ممكن أن يكون لمن لا يعمل هكذا؟ أي دفاع يكون للعقيم (البخيل)؟ فإن لم ينفّذ العبد ما أمر به، فسوف يُنفِّذ الرب ما هدّد به. فقد قال: «ومتى جاء ابن الانسان في

مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميِّز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عريانا فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوسا فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك، ومتى رأيناك غريبا فآويناك أو عريانا فكسوناك، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوسا فأتينا إليك؛ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم. ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني، كنت غريبًا فلم تأووني عريانا فلم تكسوني، مريضا ومحبوسا فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشانا أو غريباً أو عرياناً أو مريضا أو محبوسًا ولم نخدمك؟ فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٢٥ : ٣١ – ٤٦).

هل كان مِنِ الممكن أن يعطينا المسيح إعلاناً أكثر وضوحاً من هذا؟ كيف يحفزنا على أعمال الخير والبرّ والرحمة أكثر من قوله أن

كل ما نعطيه للفقراء والمحتاجين قد أعطِيَ له؟ وبقوله أنه يُهان ما لم نعطِ للفقراء والمحتاجين؟ فمن هو في الكنيسة ولا يرِقّ لحال أخيه فقد يشعَر بشيء إذا فكّر في المسيح أي رأى المسيح في أخيه، والذي لا يفكّر في رفيقه العبد الذي يكون في ضيقة وفي إحتياج، فليفكّر في الرب الذي هو في ذلك الشخص الذي يحتقره.

فلننظر إلى السماويات !!

٢٤ – وهكذا أيها الأخوة الأحباء دعونا نقدّم الطاعة بكل الإيمان بعقول مكرّسة وبأعمال صالحة مستمرة، نحن الذين نخاف اللّه، نحن الذين قد تحوّلَتْ عقولنا إلى الأمور السماوية والإلهية، بعد أن رفضت (عقولنا) وداست على العالم لتستحق خيراً من الرب.

هيا بنا نعطي المسيح الرداء الأرضي لكي ما نحصل على الثوب السماوي، هيا بنا نعطي الطعام والشراب الدنيوي لكي مانأتي إلى الوليمة السماوية مع إبراهيم واسحق ويعقوب، لنزرع كثيراً جداً لئلا نحصد قليلاً ما دام لدينا الوقت فلنفكر في النجاة والخلاص الأبدي، كما ينصحنا بولس الرسول قائلاً : «**فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكلّ. فإذاً حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولاسيما أهل الإيمان**» (غل ٦ : ٩ – ١٠).

٢٥ – لننظر أيها الأخوة الأحباء إلى ما كانت تفعله جماعة المؤمنين (في أيام الرسل) إذ كانت قلوبهم منذ البداية تفيض

بالفضائل العظيمة، وعندما كان إيمان المؤمنين مشتعلاً بحرارة الإيمان الجديد، قاموا ببيع منازلهم وحقولهم، وبكل سرور وكرم أعطوا أثمانها للرسل ليقوموا هم بدورهم بتوزيعها على الفقراء. لقد قاموا ببيع وتوزيع ميراثهم الأرضي محوّلين أملاكهم إلى المكان الذي فيه سيحصلون على ثمار الميراث الأبدي، الذي فيه يعدُّون مساكنهم التي سيسكنون فيها إلى الأبد.

هكذا كان فيض أعمالهم الصالحة في ذلك الوقت وكذلك توَحُّدهم في المحبة كما نقرأ في سفر أعمال الرسل: «**وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحده ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً**» (أع ٤ : ٣٢).

هذا يعني أننا نكون أبناء اللّه بالحقيقة بقوة الميلاد الروحاني، وأننا بحسب القانون السماوي نتمثّل بإنصاف اللّه الاب. لأن كل ما يأتي من اللّه هو للجميع في استخدامنا له، ولا يستثنى أحد من عطاياه ونِعمِه، ولا يوجد أي شيء يمنع كل الجنس البشرى من التساوي في التمتع بإحسان وكرمِ اللّه، فالنهار ينير للكل بالتساوي، الشمس ترسل أشعتها والمطر يرطب، الريح تهب، والنوم واحد لجميع النائمين ولمعان النجوم والقمر يكون ايضاً للجميع.

على هذا المثال في المساواة فإن من يمتلك شيئاً في العالم ويشارك إخوته في دخله وثماره، فهو يتمثّل باللّه الآب لأنه يكون عادلاً ويساوي الكل في كرمه المفرِط.

٢٦ – أيها الإخوة الأحباء كم يكون مجد الذين يعطون، ما هو عظم وكمال فرحتهم عندما يفرز الرب شعبه ويوزّع المكافآت بحسب استِحقاقنا وأعمالنا ويمنح السماويات عِوض الأرضيات والأبديات عوض الزمنيات، العظيمة عوض الصغيرة، ويقدّمنا للاب الذي أعَادنا إليه بتقديسه لنا، أي بتقَديس الرب يسوع للمؤمنين، ويمنحنا عدم الموت الأبدي الذي أعده لنا إذ أحيانا بدمه، ويعيدنا مرة أخرى للفردوس ويفتح لنا ملكوت السماوات حسب وعده الأمين والصادق! لتثبت هذه الأمور في أذهاننا، لنفهم هذه الأمور بإيمان كامل، لنعيش هذه الأمور بملء القلب، لنستحق هذه الأمور من خلال سخاء الأعمال الصالحة الدائمة.

أيها الاخوة الأعزاء إن **أعمال المحبة** عظيمة وإلهية، هي تعزية عظيمة للمؤمنين، حارس نافع لنجاتنا، وحصن للرجاء، حماية للإيمان وعلاج للخطية. هي أمر موضوع في يدّ من يفعلها، أمر عظيم وسهل، تاج سلام لنا بدون أخطار الاضطهاد، نعمة حقيقية وعظيمة من الرب، ضرورية للضعفاء، عظيمة للأقوياء، بها يحمل الإنسان المسيحِي نعمة روحية ويستحق الخير من المسيح الديان ويحسب اللّه كمدين له: فلنجاهد بفرح وبلا كلل لأجل إكليل أعمال الخير، لنجري كلنا في ميدان البر حيث يتطلع اللّه (الآب) والمسيح علينا، ولا نتراخى في جهادنا لأجل أيّة رغبة في هذه الحياة أو في هذا العالم، نحن الذين أصبحنا أعظم من هذه الحياة وهذا العالم.

فإذا جاء يوم المكافأة أو يوم الاضطهاد ونحن مستعدّون ومسرعون في ميدان الأعمال الصالحة هذه، فلن يتأخر الرب عن إعطاء المكافأة حسب استحقاقنا. في السلام سيعطينا، نحن الذين غلبنا، تاجًا أبيض لأجل أعمالنا الصالحة، وفي الاضطهاد سيعطي معه تاجاً قرمزيا لأجل آلامنا.